



جمعها: أ. جمال مرسلني
الجزء الأول

57. ما يقضي على مقومات الأمة

21 شوال 1380 هـ الموافق 7 أبريل 1961 م

الحمد لله الذي بيده مقاليد السماوات والأرض، يتصرف فيهما بتدبيره وحكمته، ويُجري الأسباب على وفق مشيئته وإرادته، {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (82) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (83) {يس}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، {يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} [الحديد: 4] وهو الرحيم الغفور، {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَكُمْ} [سبا: 3]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الذي أرشد الناس إلى عبادة ربه، وعرفهم بأن كل خير في حياتهم هو الاعتصام بدينه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الذين طهروا قلوبهم من كل شرك ورجس، وزكوا أنفسهم بأخلاق الإسلام وفضائله، رضي الله عنهم ومن سلك مسلكهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنّ معالم الدين ظاهرة لعقولكم، وأنّ الطريق الذي يصل بكم إلى أعلى الفضائل هو أن تكون قلوبكم مملوءة بالإيمان الراسخ والعقيدة الثابتة، وذلك بأن كل نافع أو ضار لا يكون إلا من عند الله.

كما قال جلّ شأنه: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الأنعام: 17].

وكما قال جلّ شأنه: {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [فاطر: 2]

غير أنّ الأمور تجري حسب حكمته وقضائه، ولا نعلم الفائدة المرجوة في حياتنا: هل أفضلها تقديمًا أم تأخيرًا؟

وإنما المعول عليه هو أن نصلح أحوالنا وشؤوننا، وأن نختار طريق العزّ والشرف في كلّ أعمالنا ومواقفنا، وأنّ النوايا الصالحة هي التي تأتي بالنتائج الحسنة، والأعمال النافعة؛ لأنّ ذلك هو الذي يرفعه الله ويجعله مقبولاّ عنده.

كما قال جلّ شأنه: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ} [فاطر: 10]

ونرى القرآن دائماً يجدد لكم حسن السلوك في حياتكم في كثير من آياته، ويبيّن لكم طريق الوقاية التي تحفظكم من أنواع الشرور والآثام؛ لأنّ ترك المفسدات تنتشر في الأرض بين الأفراد والمجتمعات هي من الأمور الخطيرة التي تقضي على معنويات الأمة ومقوماتها.

وأنّ علاج ذلك من الأمور السهلة لمن اعترف بالحقّ، وأقلع عن تعنّته وعناده، وحمل بين جنبيه قلباً زكياً صافياً تصدر عنه نوايا الخير بما يترجمه عنه لسانه.

كما قال الله -جلّت حكمته-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71)} [الأحزاب].